



الحج المبرور

(ليس له جزاء إلا الجنة)



إعداد
د. محمد الركبان

الحمد لله اللطيف الخبير، العلي الكبير، والصلاة والسلام
على البشير النذير، والسراج المنير، وعلى آله وصحبه
أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين... أما بعد:
فهنيئاً لكم حجاج بيت الله عزمكم وقصدكم.. هنيئاً لكم
استجابتكم لأمر ربكم حين قال: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ
يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ (٢٢)

الحج ٢٢

أما والذي حج المحبون بينه
ولبوا له عند المهل وأحرموا
وقد كشفوا تلك الرؤوس تواضعاً
لعزة من تعنوا الوجوه وتسلم
يهلون بالبطحاء لبسك ربنا
لك الحمد والملك الذي أنت تعلم
دعاهم فلبوه رضا ومحبة
فلما دعوه كان أقرب منهم
وقد فارقوا الأوطان والأهل رغبة
ولم تشنهم لذاتهم والتنعم

الحج.. أيها الأحبة.. الركن العظيم، والفرض الجليل..
إنه من أعظم القربات، وأفضل الطاعات..
فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: سئل النبي ﷺ أي
الأعمال أفضل؟ قال: ﴿إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾. قيل ثم ماذا؟
قال: ﴿جِهَادٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، قيل ثم ماذا؟ قال: ﴿حَجٌّ مَبْرُورٌ﴾
[متفق عليه].

وهو موسم الخيرات، وقرصة عظيمة لمحو الخطايا
والسيئات..

فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله
ﷺ: ﴿تَابَعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَالذَّنْبَ
كَمَا يَنْفِي الْكَبِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ﴾ [رواه أحمد، والترمذي، والنسائي].

وفي الصحيحين عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن
النبي ﷺ قال: ﴿مَنْ حَجَّ هَذَا الْبَيْتَ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ

رجع كما ولدته أمه.

وحين لامس الإسلام شغاف قلب عمرو بن العاص - رضي الله عنه - جاء إلى النبي ﷺ فقال: أبسط يمينك فلأباعتك، فبسط رسول الله ﷺ يمينه، فقبض عمرو يده، قال عليه الصلاة والسلام: «مالك يا عمرو»، قال أردت أن أشرط، قال ﷺ: «تشرط بماذا»، قال: أن يغفر لي، فقال عليه الصلاة والسلام: «أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها، وأن الحج يهدم ما كان قبله» (رواه مسلم).

وجاءت أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله ألا تغزو ونجاهد معكم، فقال عليه الصلاة والسلام: «لكن أحسن الجهاد وأجمله الحج، حج مبرور» فقالت: فلا ادع الحج بعد إذ سمعت هذا من رسول الله ﷺ (رواه البخاري).

وهو طريق يسير لرضا الرحمن، والفوز بالجنان، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «العمره إلى العمرة كفارة لما ينهها، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة» (متفق عليه).

الله أكبر.. جنة عرضها السماوات والأرض فيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين يتألفها العبد بعد رحمة الله وتوفيقه متى ما وفق للبر في حجه..

أقضي الحاج..

وكأنني بك وقد اشتاقت نفسك للمغفرة والرضوان.. وتناقت روحك لنعيم الجنان.. وكأنني بك تساءل عن السبيل للوصول إلى هذا الفضل المذكور، وتهفو نفسك للحج المبرور.. فتعال - يرحمك الله - لنذكر شيئاً من صفات الحج المبرور وشروطه.. فمن صفات الحج المبرور:

تحقيق التوحيد

فتوحيد الله تعالى وإقراره بالعبادة مقصد كل فريضة، وهدف كل عبادة.. قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ

وهو يتأكد في الحج خاصة. ولذا كان شعار الحج «التلبية». وهي إقرار بتوحيد الله وحده لا شريك له، فعن ابن عمر - رضي الله عنهما - أنه قال: كان تلبية رسول الله ﷺ: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك» [متفق عليه].

فلا يدعى إلا الله، ولا يعتمد ويتوكل على غيره، ولا يصرف شيء من العبادات من ذبح ونذر ودعاء وجميع العبادات القلبية والقولية والعملية لأحد سواه سواء أكان ملكاً مقرباً أم نبياً مرسلأ أم رجلاً صالحاً أم وثناً أم قبراً أم غيرها.

فالله أغنى الشركاء عن العمل المشرك فيه، ولذا يقول سبحانه في الحديث القدسي: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه» [إرواه مسلم].

فاحرص - سددك الله - على تنقية إيمانك من كل ما يشوبه، وليكن شعارك: «قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين (٢٢٠) لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين (٢٢١)» [الأعراف: ١٦٢ - ١٦٣].

الإخلاص

فالإخلاص شرط أساس لقبول العمل، قال تعالى: «الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً» [الملك: ١٢].

قال الفضيل بن عياض - رحمه الله -: أي أخلصه وأصوبه.. فجاهد نفسك على إخلاص نيتك وعملك لله وحده، واحذر من أن يحبط عملك رياء أو سمعة، وراقب الله وحده ولا تهتم بثناء ونظر من سواه، فقد روى ابن ماجه عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: حج النبي ﷺ على رجل رث وقطيفة تساوي أربعة دراهم أو لا تساوي ثم قال: «اللهم حجة لا رياء فيها ولا سمعة».

الناسي برسول الله ﷺ

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

فينبغي للحاج أن يحرص على صحة عمله، وذلك بأن يتعلم مناسك حجه وواجباته وسننه كما شرعها الله تعالى ورسوله، وليحرص على متابعة النبي ﷺ في أوامره ونواهيه وحر كاته وسكناته فهو الأسوة والقدوة..

فعن جابر - رضي الله عنه - قال: رأيت النبي ﷺ يرمي على راحلته ويقول: ﴿لِنَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَحِجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِهِ﴾ [رواه مسلم].

التوبة النصوح

فما أجمل أن يبدأ المسلم نسكه بتوبة نصوح، يبرهن بها على صدق نيته وقصده..

فاجعلها منطلقك إلى الحج، وأعلنها توبة نصوحاً لله تعالى من كل إفراط وتقصير..

قال الله تعالى جواد كريم يفرح بتوبة عبده مع غناء عنه، وهو سبحانه يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل.

وفي الحديث القدسي يقول الله تعالى: ﴿يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تَخْطُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ﴾ [رواه مسلم].

فاعزم على التوبة والاستغفار، واجعلها توبة نصوحاً خالصة لله استجابة لأمره حين قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم: ٨].

النفقة الحلال

قال الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً، فاحرص - وفقك الله - على تحري النفقة الطيبة..

فقد روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرُ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ

فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الرِّسْلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي نَسَا تَعْمَلُونَ عَلَيْهِ﴾ ، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الدِّينُ آمِنُوا كُلُّوا مِنَ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ ، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يد يديه إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فإني يستجاب لذلك.

﴿إقامة ذكر الله﴾

فإن ذكر الله تعالى وتحميده وتسبيحه وإجلاله من مقاصد الحج الكبرى..

قال تعالى: ﴿وَإِذْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (٢٧) لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ﴾ [الحج: ٢٧ - ٢٨]

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا أَقْمَمْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٨]

وقال سبحانه: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٠٣]

فالواجب على الحاج أن لا يفتأ لسانه عن ذكر الله تعالى والثناء عليه، فهي وصية الحبيب ﷺ لمن أراد الفوز والنجاة.. جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت علي فأخبرني بشيء أنشئت به، فقال ﷺ: لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله ﷻ [رواه أحمد والترمذي وغيرهما]

﴿الإلحاح على الله بالدعاء﴾

فالدعاء باب عظيم من أبواب العبادة..

والله تعالى يحب من عباده دعاءه ورجاءه، ولذا قال سبحانه: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الدِّينَ يَنْتَكِرُونَ عَنْ عَادَتِي سَدَخْلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]

وقال سبحانه: ﴿قُلْ مَا يَدْعُواكُمْ رَبِّي لِوَلَا دَعَاؤُكُمْ﴾ [الفرقان: ٢٧٧]

والحج من المواطن التي يترجى فيها إجابة الدعاء، فعن ابن عمر - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ قال: «الغاري في سبيل الله والحاج والمعتمر وفد الله؛ دعاهم فأجابوه،

وسأله فأعطاهم» [رواه ابن ماجه].

فألح على الله تعالى بالدعاء، لك ولأهلك ولأمستك،
وتحر أوقات الإجابة وسواطينها كعند الصفا والمروة ورمي
الحمار وعند المشعر الحرام، وأجلها وأعظمها في يوم عرفة،
وما أدراك ما يوم عرفة، يوم ينزل الرحمن حل جلاله
وتقدس أسمائه فيباهي بأهل الموقف ملائكته..

فعن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال
رسول الله ﷺ: «ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً
من النار من يوم عرفة وإنه ليدنوا ثم يباهي بهم الملائكة،
فيقول: ماذا أراد هؤلاء؟» [رواه مسلم].

وقال ﷺ: «خير الدعاء دعاء يوم عرفة وخير ما قلت أنا
والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له
الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير» [رواه الترمذي].

استغلال الأوقات والتزود من الصالحات

ف ساعات الحج محدودة، وأيامه معدودة..

فاحرص على التزود فيها بالصالحات، واستغلالها فيما
يرضي رب الأرض والسموات..
كالذكر والدعاء، وقراءة القرآن وحضور حلق الذكر،
والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر..

وليكن لك نصيب وافر من الدعوة إلى الله تعالى
بالكلمة الطيبة، والشريط والكتاب النافع، فقد قال جل من
قائل: **«ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال
إني من المسلمين»** [فصل: ١٣٣].

كما احرص - وفقك الله لكل خير - على الإحسان إلى
الحجاج ونفعهم والصبر على أذاهم، فهم وفد الله
والإحسان إليهم سبيل ميسر للوصول إلى الحج المبرور. فعن
جابر - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: **«الحج
المبرور ليس له جزاء إلا الجنة»**، قالوا: يا نبي الله ما الحج
المبرور؟ قال: **«إطعام الطعام وإفشاء السلام»** [رواه أحمد].

واعلم أن أكمل الطاعات وأجلها المحافظة على الفرائض
التي افترضها الله على عباده كالصلاة والصيام والحج

والبعد عن المحرمات... وأن النوافل طريق لمحبة الله ورضاء، فقد روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: **«إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنَنِي بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتَهُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أَحْبَبَهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتَهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَصَدَّهُ الَّذِي يَبْطِشُ بِهِ»**، وَرَجُلُهُ الَّذِي يَمْشِي بِهِ» وَإِنْ سَأَلَنِي لَأَعْطِيَنَّهُ وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأَعِذَّنَّهُ».

فاحرص على المحافظة على الصلوات في أوقاتها مع الجماعة وجاهد نفسك للخشوع فيها لعل الله أن يكتيك من الخاشعين..

البعد عن الرقث والفسوق والجدال

قال الله تعالى: **«الْحَجَّ أَشْهَرُ مَعْلُومَاتٍ مِمَّنْ فَرَضَ فِيهِِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفْثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ»** [البقرة: 197].

وقال ﷺ: **«مَنْ حَجَّ هَذَا الْبَيْتَ قَلَمَ يَرْفُثَ وَلَمْ يَفْسُقْ وَجَمَعَ كَيَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»** [متفق عليه].

فأما الرقث فقد قال ابن عمر - رضي الله عنهما -: هو إتيان النساء والتكلم بذلك للرجال والنساء، إذا ذكروا ذلك بأفواههم.. وقال عطاء بن أبي رباح: الرقث هو الجماع وما دونه من قول الفحش.

وأما الفسوق فقد روي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - وغير واحد من السلف بأنه المعاصي بجميع أنواعها والجدال هو المراء في غير الحق..

فالواجب على الحاج البعد عن ذلك كله، وترك المعاصي وتجنبها، سواء أكانت غيبة أم نسيئة أم كذب أم سب أم سماع محرم أم نظرة محرمة أم شرب محرم...

ومتى ما حرص الحاج على الطاعات وتجنب المنكرات؛ زاد إيمانه وتقواه وامتلأ أمر ربه الذي أمره بقوله: **«وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ**

خَيْرَ الزَّادِ تَقْوَى وَاتَّقُوا يَا أُولِي الْأَلْبَابِ (١٧٧)» [البقرة: 197].

حسن الخلق

فقد سئل رسول الله ﷺ عن البر والإثم فقال: «البر حسن الخلق والإثم ما حاك في صدرك وكسرته أن يطلع عليه الناس» [رواه مسلم].

وعند الترمذي وأبو داود وغيرهما عن أبي أمامة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا رعيم بيت في رضا الجنة لمن ترك المراء، وإن كان محققاً، وبيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً، وبيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه».

فاجتهد - حفظك الله - في ذلك، وتحلى باللين والرفق والحلم والأناة، وكن طيب القول طلق الوجه، واصبر على ما يصيبك من أذى وتقصير طمعاً في رضوان الله وجزائه.

العج والشج

فقد روى الترمذي وابن ماجه أن رسول الله ﷺ سئل أي الحج أفضل؟ فقال: «العج والشج».

والعج هو رفع الصور بالتليسة، والشج هو تحر البدن وإهراق الدم.

قال تعالى: ﴿لَنْ يَمَالَ اللَّهُ تَعْوُّمَهَا وَلَا دِمَافُهَا وَلَكِنْ بِإِلَهِ الْقُرْآنِ مَكِّمٌ﴾ [الحج: 37].

فهي من العبادات التي يحبها الله تعالى ويرضاها، وهي من شعائر الحج، فقد روى أحمد والنسائي وابن ماجه أن رسول الله ﷺ قال: «جاءني جبريل فقال: يا محمد مر أصحابك فليرفعوا أصواتهم بالتلية فإنها من شعائر الحج».

وعن سهل بن سعد الساعدي - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من ملب يلبى إلا لبي ما عن يمينه وشماله من حجر أو شجر أو مدر حتى تنقطع الأرض من هاهنا هاهنا» [رواه الترمذي وابن ماجه].

تعظيم شعائر الله، وإظهار الأذى والافتقار إليه

فينبغي لك أن تستشعر أنك بإحرامك وتلبستك ومبيتك بمنى وإفاضتك من عرفات وتفرتك من مزدلفة ورميك للجسمار.. إنما تؤدي عبادات تقرب بها إلى الله تعالى.. فعظمها في نفسك، وأحبها بالذكر والافتقار إلى الله.

كان أنس بن مالك - رضي الله عنه - إذا أحرم لم يتكلم في شيء من أمر الدنيا حتى يتحلل من إحرامه..

ولما أحرم الحسن بن علي - رضي الله عنه - واستوت به راحلته اصغر لونه وارتعد، ولم يستطع أن يلي، فقبل له: مالك؟ فقال أخشى أن يقول لي لا لبيك ولا سعديك..

واعلم - سددك الله - أن تعظيم شعائر الله دليل التقوى والصلاح، قال تعالى: **• ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب (٢١) •** (الحج ١٣٢).

أخي الحاج..

هذه جملة من صفات الحج المبرور، تأملها واجتهد في تحصيلها لعلك تفوز بثوابها..

فإذا ما قضيت نسكك، وتم لك حجك؛ فأكثر من ذكر الله واستغفاره والتوبة إليه، فهي وصية الله تعالى لك حيث قال: **• فإذا قضيت مناسككم فاذكروا الله كذاكركم آباءكم أو أشد ذكرا •** (البقرة - ١٢٠).

وقد كان رسول الله ﷺ إذا قفل من غزو أو حج أو عمرة يكبر على كل شرف من الأرض ثلاث تكبيرات ثم يقول: **لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، آيئون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون، صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده** (مسنون عليه).

واعلم - تقبل الله منك - أن لصالح العمل آيات، ولقوله علامات.. قال بعض السلف: علامة بر الحج أن يزداد بعده خيراً، ولا يعاود المعاصي بعد رجوعه..

وقال الحسن البصري - رحمه الله -: الحج المبرور أن يرجع زاهداً في الدنيا راغباً في الآخرة.

أخي الحاج.. تقبل الله حجك، ورفع في الجنان قدرك، وأعادك إلى أهلك سالماً معافى من الذنوب كيوم ولدتك أمك.. آمين..

دار القاسم تقدم برنامج القراءة بالمراسلة، يصلح شهرياً ٤ كتبيات +
٤ كتبيات جيب + ٤ مطويات بإشتراك سنوي ١٧٥ ريال فقط

حقوق الطبع والنشر محفوظة